حيث قال الله تبارك وتعالى: ((وَاللَّيْـلِ إِذَا يَغْشَـى . وَالنَّهَـارِ إِذَا تَجَلَّـى . وَمَا خَلَقَ الـذَّكَرَ وَالأنثَـى . إِنَّ سَـعْيَكُمْ لَشَـتَّى)).فأقسـم اللـه سـبحانه وتعالى بالليل إذا يغشى يعني حين يغشى الأرض ويغطيها بظلامـه، لأن الغشاء بمعنى الغطـاء. ((**والنهار إذا تجلـى**)) أي: إذا ظهـر وبـان، وذلك بطلوع الفجر الذي هو النـور الـذي هـو مقدمـة طلـوع الشـمس، والشمس هي آية النهار كما أن القمـر آيـة الليـل. ((ومـا خلـق الـذكر والأنثى)): يعني وخَلْق الذكر والأنثى على أحد التفسـيرين الـذي جعـل ((**ما**)) هنا مصدرية، أو والذي خَلَق الذكر والأنثى وهو اللـه عـز وجـل على التفسير الآخر. فعلى **المعنى الأول**: يكون الله سبحانه وتعـالى أقسم بخلق الذكر والأنثى. **وعلى الثـاني**: يكـون اللـه تعـالى أقسـم بنفسه، لأنه هـو الـذي خلـق الـذكر والأنـثى. ((إن سـعيكم لشـتى)): يعني إن عملكم ((**لشتى**)) أي لمتفرق تفرقاً عظيماً.فأنت تـرى الآن أن الله أقسم بأشياء متضادة على أشـياء متضـادة: الليـل ضـد النهـار، الذكر ضد الأنثى، السعي متضاد صـالح وسـيء، فتناسـب المقسـم بـه والمقسم عليه، وهذا من بلاغة القرآن، فكأن الله عز وجـل يقـول: إن اختلاف الليـل والنهـار والـذكر والأنـثى أمـر ظـاهر لا يخفـى، فكـذلك الأعمال، أعمال العبـاد متباينـة متفاوتـة، منهـا الصـالح، ومنهـا الفاسـد، ومنها ما يخلط صالحاً وفاسداً، كل ذلـك بتقـدير اللـه عـز وجـل، واللـه يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم، ثم فصّـل هـذا السـعي المتفـرق فقـال: ((**فأمـا مـن أعطـى واتقـى. وصـدق بالحسـنى. فسنيسره لليسرى**)). ((**فأما من أعطى**)) أي: أعطى مـا أمـر بإعطائه من مال، أو جاه، أو علم. ((**واتقى**)) اتقـى مـا أمـر باتقـائه من المحرمات. ((**وصدق بالحسنى**)) أي: صـدق بالقولـة الحسـنى وهي قول الله عز وجـل، وقـول رسـوله صـلى اللـه عليـه وسـلّم، لأن أصـدق الكلام، وأحسـن الكلام كلام اللـه عـز وجـل. ((**فسنيسـره لليسرى**)) السين: هنا للتحقيـق أي: أن مـن أعطـى واتقـى، وصـدق بالحسنى، فسييسره الله عز وجل لليسرى في أموره كلهـا، فـي أمـور دينه ودنياه، ولهذا تجد أيسر الناس عملاً هو مـن اتقـى اللـه عـز وجـل، من أعطى واتقى وصدق بالحسنى. وكلما كان الإنسان أتقى لله كـانت أموره أيسر له. قال تعالى: ((**ومن يتق الله يجعل لـه مـن أمـره يسًرا**)). وكلما كان الإنسان أبعد عن الله كان أشد عسراً فـي أمـوره ولهـذا قـال: ((**وأمـا مـن بخـل**)) فلـم يعـط مـا أمـر بإعطـائه .((

واستغنى)) استغنى عن الله عز وجل، ولم يتق ربه، بل رأى أنه في غنى عن رحمة الله، نسأل الله العافية والسلامة. ((**وكذب بالحسنى**)) أي: بالقولة الحسنى، وهي قول الله، ورسوله. ((**فسنيسره للعسرى**)) ييسر للعسرى في أموره كلها، ولكن قد يأتي الشيطان للإنسان فيقول: نجد أن الكفار تيسر أمورهم فيقال: نعم. قد تيسر أمورهم، لكن قلوبهم تشتعل ناراً وضيقاً وحرجاً كما قال تعالى: ((**ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعد في السماء**)). ثم ما ينعمون به فهو تنعيم جسد فقط، لا تنعيم روح، ثم هو أيضاً وبال عليهم لقول الله تعالى فيهم: ((**سنستدرجهم من حيث لا يعلمون وأملي لهم إن كيدي متين**)). وقال النبي صلى الله عليه وسلّم: (**إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته**). وتلا قوله تعالى: ((**وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد**)). وهؤلاء عجلت لهم طيباتهم في حياتهم الدنيا، ومع ذلك فإن هذه الدنيا جنة لهم بالنسبة للآخرة. وقد ذكروا عن ابن حجر العسقلاني شارح البخاري بالشرح الذي سماه " **فتح الباري** " وكان قاضي القضاة بمصر، أنه مر ذات يوم وهو على عربته تجره البغال والناس حوله، مر برجل يهودي سمان يعني: يبيع السمن والزيت –وتعلمون أن بيّاع السمن والزيت تكون ثيابه وسخة وحاله سيئة-، فأوقف العربة وقال لابن حجر: إن نبيكم يقول: (**الدنيا سجن المؤمن، وجنة الكافر**)، فكيف أنا أكون بهذه الحال وأنت بهذه الحال؟ فقال له ابن حجر على البديهة: أنا في سجن بالنسبة لما أعدّ الله للمؤمنين من الثواب والنعيم، لأن الدنيا بالنسبة للآخرة ليست بشيء كما قال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم (**لموضع سوط أحدكم في الجنة خير من الدنيا وما فيها**)، وأما أنت - يقول لليهودي -: فأنت في جنة بالنسبة لما أعد لك من العذاب إن مت على الكفر فاقتنع بذلك اليهودي وصار ذلك سبباً في إسلامه وقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله. ثم قال عز وجل: ((**وما يغني عنه ماله إذا تردى**)): يعني أي شيء يغني عنه ماله إذا بخل به وتردى هو. أي: هلك أي شيء يغني المال؟ لا يغني شيئاً. حيث قال الله تبارك وتعالى : ((**إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى . وَإِنَّ لَنَا لَلآخِرَةَ وَالأولَى**)). وقوله عز وجل: ((**إن علينا للهدى**)): فيه التزام من الله عز وجل أن يبين للخلق ما يهتدون به

إليه. والمراد بالهدى هنا: هدى البيان والإرشاد فإن الله تعالى التزم على نفسه بيان ذلك حتى لا يكون للناس على الله حجة وهذا في قوله تعالى: ((**إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده**)). إلى أن قال: ((**رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل**)). انتبهوا يا إخوان: لا يمكن للعقل البشري أن يستقل بمعرفة الهدى، ولذلك التزم الله عز وجل بأن يبين الهدى له، للإنسان :((**إن علينا للهدى**))، وليُعلم أن الهدى نوعان: **هدى توفيق** : فهذا لا يقدر عليه إلا الله. **هدى إرشاد ودلالة**، فهذا يكون من الله، ويكون من الخلق: من الرسل ، من العلماء، كما قال الله لنبيه صلى الله عليه وعلى آله وسلم: ((**وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم**)). أما هداية التوفيق فهي إلى الله لا أحد يستطيع أن يوفق شخصاً إلى الخير، كما قال الله تعالى: ((إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء)). وإذا نظرنا إلى هذه الآية الكريمة ((**إن علينا للهدى**))، وجدنا أن الله تعالى بين كل شيء، بين ما يلزم الناس في العقيدة، وما يلزمهم في العبادة، وما يلزمهم في الأخلاق، وما يلزمهم في المعاملات، وما يجب عليهم اجتنابه في هذا كله. حتى قال أبو ذر رضي الله عنه: " **لقد توفي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وما طائر يقلب جناحيه في السماء إلا ذكر لنا منه علماً** ". وقال رجل من المشركين لسلمان الفارسي: " **علمكم نبيكم حتى الخراءة، قال: أجل علمنا حتى الخراءة** ". يعني: حتى آداب قضاء الحاجة علمها النبي صلى الله عليه وسلّم أمته، ويؤيد هذا قوله تعالى: ((**اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً**)). ((**وإن لنا للآخرة والأولى**)) يعني: لنا الآخرة والأولى. الأولى متقدمة على الآخرة في الزمن، لكنه في هذه الآية أخرها فلماذا؟ نقول لفائدتين: **الفائدة الأولى**: معنوية. **الفائدة الثانية**: لفظية.**أما المعنوية :** فلأن الآخرة أهم من الدنيا، ولأن الآخرة يظهر فيها ملك الله تعالى تماماً. في الدنيا هناك رؤساء، وهناك ملوك، وهناك أمراء يملكون ما أعطاهم الله عز وجل من الملك، لكن في الآخرة لا ملك لأحد ((**لمن الملك اليوم لله الواحد القهار**)). فلهذا قدم ذكر الآخرة من أجل هذه الفائدة المعنوية. **أما الفائدة اللفظية**: فهي مراعاة الفواصل يعني: أواخر الآيات كلها

كما ترون آخرها ألف: ((**والليل إذا يغشى. والنهار إذا تجلى**))، ولو قال: إن لنا للأولى والآخرة، اختلفت رؤوس الآيات، فمن ثم قال: ((**وإن لنا للآخرة والأولى**)). هنا يتبين أن الله عز وجل قال: ((**إن علينا للهدى وإن لنا للآخرة والأولى**)) فما الفرق؟ **الفرق**: أن الهدى التزم الله تعالى ببيانه وإيضاحه للخلق، أما الملك فهو لله ملك الآخرة والأولى، ولهذا قال: ((**وإن لنا للآخرة والأولى**)). ثم قال عز وجل: ((**فأنذرتكم نارًا تلظى**)): ((**فأنذرتكم**)) يعني: خوفتكم. والنار: يعني بها نار الآخرة. **((تلظى**)): تشتعل، ولها أوصاف كثيرة في القرآن والسنة، أجارنا الله وإياكم منها. ((**لا يصلاها إلا الأشقى**)) يعني: لا يحترق بها :((**إلا الأشقى**)) يعني الذي قدرت له الشقاوة، والعياذ بالله. والشقاوة ضد السعادة لقوله تعالى: ((**فأما الذين شقوا ففي النار**)). وقوله: ((**وأما الذين سعدوا ففي الجنة**)). فالمراد بالأشقى يعني: الذي لم تكتب له السعادة، هذا هو الذي يصلى النار التي تلظى. ثم بين هذا بقوله: ((**الذي كذب وتولى**)): التكذيب في مقابل الخبر، والتولي في مقابل الأمر والنهي. فهذا كذب الخبر ولم يصدق، قيل له: إنك ستبعث. قال: لا أبعث. قيل له: هناك جنة ونار. قال: ما هناك جنة ونار. قيل له: سيكون كذا وكذا، قال: ما يكون. هذا تكذيب. ((**تولى**)) يعني أعرض عن طاعة الله، وأعرض عما جاءت به رسله، فهذا هو الشقى، أعاذنا الله وإياكم من الشقاوة. ((**وسيجنبها**)) أي: يجنب هذه النار التي تلظى ((**الأتقى**)) والأتقى اسم تفضيل من التقوى يعني: الذي اتقى الله تعالى حق تقاته. ((**الذي يؤتي ماله يتزكى**)) يعني: يعطي ماله من يستحقه على وجه يتزكى به، أي: يتطهر به، قال الله تعالى: ((خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم)). فقوله: ((**الذي يؤتي ماله يتزكى**)) يفيد أنه لا يبذر ولا يبخل، وإنما يؤتي المال على وجه يكون به التزكية، وضابط ذلك ما ذكره الله في سورة الفرقان ((**والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً**))، نجد بعض الناس يعطيه الله مالاً، ولكن يبخل يقتِّر حتى الواجب عليه لزوجته وأولاده وأقاربه لا يقوم به. ونرى بعض الناس قدر الله عليه الرزق وضيق عليه بعض الشيء، ومع هذا يذهب يتدين من الناس من أجل أن يكمل بيته حتى يكون مثل: بيت فلان وفلان، أو من أجل أن يشتري سيارة فخمة

كسيارة فلان وفلان، وكلا المنهجين والطريقين منهج باطل. **الأول**: قصر. **والثاني**: أفرط. والواجب على الإنسان أن يكون إنفاقه بحسب حاله، فإن قال قائل: هل يجوز أن يتدين الإنسان ليتصدق؟ فالجواب: لا. لأن الصدقة تطوع، والتزام الدّين خطر عظيم، لأن الدين ليس بالأمر الهين، فالإنسان إذا مات فإن نفسه معلقة بدينه حتى يقضى عنه، وكثير من الورثة لا يهتم بدين الميت، تجده يتأخر يماطل وربما لا يوفيه - نسأل الله السلامة -، وقد كان النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم إذا قدمت إليه الجنازة سأل هل عليه دين له وفاء؟ فإن قالوا لا، قال: (**صلوا على صاحبكم**)، وأخبر صلى الله عليه وعلى آله وسلم أن الشهادة في سبيل الله تكفر كل شيء إلا الدين، فالدين أمره عظيم، لا يجوز للإنسان أن يتهاون به. ثم قال: ((**وما لأحد عنده من نعمة تجزى**)): يعني أنه لا يعطي المال مكافأة على نعمة سابقة من شخص فليس لأحد عليه فضل حتى يعطيه مكافأة، ولكنه يعطي ابتغاء وجه الله. ولهذا قال: ((**إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى**)): فهو لا ينفق إلا طلب وجه الله، أي طلب الوصول إلى دار كرامة الله التي يكون بها رؤية الله عز وجل. ((**ولسوف يرضى**)) يعني سوف يرضيه الله عز وجل بما يعطيه من الثواب الكثير وقد بين الله ذلك في قوله: ((**مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم**)). نسأل الله أن يجعلنا وإياكم من هؤلاء البررة الأطهار الكرام، إنه على كل شيء قدير.